فاطمه
سيف سيفو

Copyright © 2018 by Saif Saifo

جميع الحقوق محفوظه

يمنع إعادة النشر والطبع بدون موافقه خطيه من الكاتب

فاطمه

سيف موفق سيفو

"على اغاني كاظم الساهر وضع فراس السكير كرسيا وسط غرفته، الحبل الذي نصبه على المروحه أصبح يتدلى أمامه، بدموع كلدم تسري من عينيه الحمراوتان لف حبل النهاية حول عنقه، "وداعا فاطمه" كانت هذه كما أومن اخر كلماته قبل أن ينتحر. هكذا مات المهندس، ولكن سيادة القاضي هل انتحر فراس حقا ام قتل؟ , لقد التمست من حضرتكم استدعاء كل من الدكتور روان و الد الضحيه و الشيخ خالد والد فاطمه ليمتثلى امام المحكمه واشكركم على استجابة

طلبي، والان وبعد أن حظر كلا منهما، سأثبت لكم كيف تم اغتيال المهندس فراس!" المحامي وليد

وسط دهشة الحظور الذي لم يستوعب كلام المحامي وليد، الصديق المقرب لفراس والشاهد على مقتله كما يدعي

"هاي مهزله!" صاح والد فاطمه ليبداء الضجيج في المحكمه مجبرا القاضي بأن يستخدم مطرقته، مهددا بمحاسبة كل من يقاطع إجراءات المحكمة

التفت المحامي نحو الشيخ خالد وقال "اليوم ستحاسبون!"

"تفضل سيادة المحامي" قال القاضي مخاطبا وليد، لتبداء المحكمة.

"عملية قتل الضحيه مرت على عدة مراحل وكانت ذروتها في عام 2010، عندما كان المهندس في آخر سنوات دراسته في كلية الهندسة جامعة الموصل، بالرغم من قلة تواصلي معه بسبب الدراسه الا اننا كنا نلتقي دائما في نهاية الاسبوع، لم يكن يستمع لحديثي عندما اتكلم، أما عندما كان يتكلم فهو لا ينفك الحديث عن فاطمه وعن خططهم المستقبليه للزواج، "اذا جاني ولد راح اسميه وليد على اسمك " هكذا كان يعدني ضاحكا بالرغم من معارضة فاطمه الشديده التي كانت تدرس الحقوق معي. بالرغم من مشاكل الحياة سواء من الناحية الأمنية أو الاجتماعية لقد كان فراس أكثر الأشخاص الذين عرفتهم تفاؤلا و أكثرهم إلتزاما. وهذا ما يدفعني للقول بأن فراس قتل" قال المحامي ثم التفت إلى الدكتور والشيخ وفي عينيه شرارة الاتهام بينما اتخذ الآخران الصمت غطاء لهما.

" في الشهر الرابع من نفس العام طلب مني الضحيه أن اذهب معه شخصيا لمقابلة الشيخ خالد من أجل مفاتحته في موضوع ابنته فاطمة، وفي حالة أخذنا الاذن منه سيقوم فراس بجلب عائلته من أجل الخطبه الرسميه. اذكر بأني سألته فيما إذا كان والده، الدكتور روان يعلم بالموضوع " اهلي شغلتهم سهله يمعود!" هكذا كان رده على سؤالي. بالرغم من أننا أخبرنا فاطمه بأن تعلم ذويها بخبر قدومنا و تأكيدها لنا فيما بعد بأنها فعلت! , الا اننا فوجئنا بطريقه استقبالنا من قبل الشيخ الذي كان متفاجئ وكأنه لا يعلم شيء، نظراته المليئة بالاستصغار والاستحقار كان آخر شيء رأيته منه قبل أن يقوم بطردنا "لا ترجع قبل ما يكون عندك شغل تكدر تعيش من عنده!" هذا كان طلبه من فراس" قال المحامي مخاطبا القاضي ثم أكمل قائلا "سيدي القاضي اطلب من حظرتكم استدعاء السيده فاطمه إلى منصة الشهود لأخذ الشهاده"

التفت الشيخ خالد يمينا وشمالا متعجبا من طلب المحامي وليد "انت اكيد مجنون!" وهذا ما استطاع أن يقول.

تقدم المحامي نحو القاظي وقال هامسا " ما يحتاج التأجيل سيادة القاضي، الشاهد موجود ينتظر خلف ابواب القاعه "

نادى القاضي على الشاهد لتفتح ابواب القاعة وتتقدم فاطمه التي اتخذت من السواد رداء لها بالرغم من زواجها الذي لم يمر عليه سوى اسبوع من ابن عمها جابر.

اصوات كعبها على بلاط القاعه نزلت كالرصاص على قلب أباها واب حبيبها السابق.

تقدمت فاطمه لأداء القسم ثم جلست في منصة الشهاده، و أن كانت فاطمه في شهر العسل كما يقال إلا أن ملامح الحزن قد غطت وجهها الشاحب، تقدم نحوها وليد وقال:

" شكرا على حضورج اليوم "

لم تجب فاطمه و نظرت الى ابيها وفي عينيها سؤال واحد "لماذا؟" .

"فاطمه، كنت أروي للحضور شلون كان استقبال والدج ألنا من فاتحناه بالموضوع اول مره، تكدرين تكولين شنو الي صار بعد ما رحنا؟" سأل المحامي، ولكن الدموع كانت جواب فاطمه

"إذا ما تسوين هذا الشي لخاطر فراس، فتذكري أنتِ حلفتي" قال وليد.

مسحت فاطمه دموعها و أجابت "كان هذاك يوم اسود، طبعا والدي حرمني من الروحه للجامعة وأخذ جهازي مني وكانت حجته أنه فراس مو منا و بينا " "قصدج لان كوردي؟" "اي نعم، بعد اسبوع من هاي الحالة كدرت امي تقنع أبويه أنه يسمحلي ارجع للجامعه".

" التقيتي بعدها بفراس؟" "اي نعم" "و شلون كانت ردة فعله؟" .

"كان مزعوج كثير، بس هو وعدني أنه راح يسوي المستحيل حتى ياخذني!"

"وسوى شي؟" " اي هو كام يدور شغل وبعد شهر اشتغل حتى بمطعم!"

"طبعا الشغل شي مو عيب بس هو من عائلة غنيه، ما كان من الممكن أنه يطلب من أبوه أن يشغله بمكان أرقى؟"

"فراس" قالت فاطمة وهي تشهق الأنفاس بسبب البكاء ثم أكملت " فراس كان يحب يعتمد على روحه وما يحب أحد يساعده حتى لو كان أبوه!".

أعطى وليد لفاطمه منديلا كي تمسح دموعها.

"ممكن تحكي لنا الي صار بعد التخرج؟"

"صح هو كان يشتغل بس بنفس الوقت كان شاطر بالدراسة ونجح من كلية الهندسة المعمارية بتفوق وكان من العشره الأوائل وبسبب هذا الشي كدر يتعين"

"يعني حقق شرط ابوج؟" " اي نعم، بعد ما تعين بشهر كال أنه راح يفاتح أهله ويجيبهم حتى يخطبني" "وجابهم " "لا!، أبوه كان ما مقتنع بالفكره، وحسب توضيح فراس، ابوه رفض هذا الشي لان عندهم عادات وتقاليد مختلفه!"

نظر وليد نحو الحضور مخاطبا إياهم يتعجب " أكبر أطباء الباطنية في الموصل و عضو في جمعية حقوق الإنسان مازال مقيدا بالعادات والتقاليد!"

"وين تريد تصل؟" قال الدكتور روان منزعجا من طريقة وليد في الكلام

"انا اسف دكتور والشي الي اريد اعبر عنه هو بشاعة المجتمع، الي حتى المثقفين ما خلصوا من عنده!"

التفت وليد الى القاضي وقال " سيدي بعد هذا الشيء سألني وليد أن اطلب من ابواي أن يخطبوا له فاطمه وقد كان خجولا في سؤاله، تقبلا والداي الموضوع بسرور فقد كان فراس صديقي منذ الطفولة وهم كانوا يرونه جزء من العائله" ضحك وليد قائلا "في الواقع لقد كانوا يفضلونه علي في بعض الأحيان"

تذكر المحامي مقولة فراس له حين كان جالسا بين والديه على سفرة الطعام، والديه اللذان كانا منزعجان من معدله القليل قال في وقتها مازحا "يوم! بيعوه ما يفيدكم انا موجود عدكم اكفي واوفي ".

"بالرغم من أن فراس قد حقق مطلب الشيخ خالد ولكن النتيجة كانت نفسها!، بل حتى اسوء فنحن لم نرى اي احترام ولا حتى لشيبة ابي وامي الكبيرة في السن، الشئ الأساسي في العادات والتقاليد التي يقدسها الشيخ خالد، وكانت حجته بأنه يجب على ابوي فراس الحضور"

"فاطمه تكدرين تكملين الي صار"

"الشي نفسه صار، هم ممنوع الروحه للجامعه "

"ممكن تكولين الشئ الطلبتي من فراس؟"

"العيشه بدون فراس كانت مستحيله الي!, انا طلبت منه أنه نتزوج حتى بدون موافقة اهلنا "

الجميع في قاعة المحكمة صدم من كلام فاطمه وعلى رأسهم أباها الذي بدأت شرارت الغضب تقدح في عينيه .

"و شنو كان رد فراس ؟" سأل المحامي فاطمه

"رفض !"

"ممكن نعرف السبب!"

"بالرغم من أنه بينتله هذا الشي حلال، بس هو رفض وقال مستحيل ارضاها على شرفي حتى اقبلها على شرف العالم، اهلنا لازم يقبلون، هيج جان يگول !"

"شكرا فاطمه، تكدرين تتفضلين"

نزلت فاطمه من على منصة الشهود، وفي طريقها إلى الخارج ارمقت ابيها نظره كانت ممزوجة بين العتاب و الاسف.

"سيدي القاضي انا اطلب استدعاء الدكتور روان للشهاده" قال المحامي وليد

"فليتفضل الشاهد" القاضي.

تقدم الدكتور روان متعجبا من أفعال المحامي واصفا إياها بالمسرحيه، نطق الدكتور القسم ثم جلس في منصة الشهود.

" شكرا دكتور" قال المحامي

" انا جيت اليوم بس لخاطر اهلك والصداقه الي كانت تجمعك بفراس الله يرحمه "

" أاكدلك دكتور ما راح نطول ".

"دكتور روان، انت عضو بجمعية حقوق الإنسان بفرعيها في نينوى صحيح؟"

"صح"

"طبعا عندك نشاطات كثير، انت حتى تعالج بعيادتك الي ما عندهم فلوس بالمجان، صح؟"

"صح"

"وهذا جزء من نشاطاتك بحقوق الإنسان، طبعا لوما كنت تؤمن بحقوق الإنسان ما كان سويت هالشي، صح؟"

"شتريد تگول؟"

"ممكن تجاوب سؤالي؟" " اي صح، الناس الها حقوق احنا هدفنا نحميها ونطالب بيها "

"شنو مفهومك عن حقوق الإنسان؟"

"شنو هذه الأسئلة التافهة!" قال الدكتور روان مؤديا الى انزعاج القاضي

"دكتور روان جاوب على السؤال بدون إهانات رجاءا" قال القاضي

"هذا المجال كبير ما اتوقع لا وقتكم ولا وقتي يسمح بالخوض بهذا المجال! , فياريت المحامي يتفضل ويوضح وين يريد يصل ؟" قال الدكتور بانزعاج

"هل تعتبر حرية اختيار شريك الحياة من ضمن حقوق الإنسان؟"

"اكيد"

" مع هذا الشي انت كنت رافض هذا الحق لابنك!"

"شنو؟!، شوف وانت تعرف زين، انا رحت وطلبت البنت بنفسي لابني بس ما شفت ولا صوره من الاحترام باستقبالهم وحكيهم، عكس الشي السويناه معاهم "

فأجاب المحامي منفعلا " شنو سويت معاهم؟, انت صح رحت بس بعد ما خلص نفس ابنك وهو يحاول يقنعك، اختار الغربه يمثلوه لان انت كنت رافض ،ومن رحت، ما كان اكو شي يبين أنه انت مقتنع، لا اصلا انت كنت منتظر كلمه حتى تهد كلشي، هو هذا الشي الصار"

رد الدكتور بغضب " ما اسمحلك!، مو انت الي تجي وتعلمني شنو الاسوي وتنطيني دروس بالاخلاق، ولا تحسب نفسك انك الوحيد المقهور على فراس، هذا ابني تعرف شنو ابني!"

فقال المحامي ببرود "لوتموت!"

" شنو؟"

" "لوتموت" كانت هاي اخر كلماتك لابنك قبل أن يصعد لغرفته ويصير الصار، انا مو بمقامك حتى انطيك دروس بالاخلاق، اصلا إذا اكو شي أحسه لاتجاهك، ما راح يكون غير الاسف!"

كان الصمت رد الدكتور على كلمات وليد الجارحة، الصمت كان رد الحضور في تلك اللحظة.

" شكراً دكتور تكدر تتفضل، سيدي القاضي اطلب من الشيخ خالد التفضل للشهاده!"

"سيادة المحامي ممكن تقترب " قال القاضي مخاطبا وليد، الذي اقترب بدوره من القاضي ليصغي إليه .

اغلق القاضي مكبر الصوت وقال لوليد " ابني كمل الشي اللي تريد توصله، صح وافقت على المحكمة بس لازم تعرف أنه الأشخاص المقابيلك الهم ثقلهم بالمجتمع "

"اكدلك سيادة القاضي بنص ساعه راح نكون خالصين!"

"تفضل لنشوف"

اقترب المحامي من الشيخ خالد الذي جلس في منصة الشهود

" شيخ خالد راح أسألك بشكل مباشر، ليش كنت رافض فراس وبالرغم من أنه حقق كل مطالبك؟"

" انا شيخ عشيرة واهم شي عندي كلمتي، بنتي كانت موعوده لابن عمها"

"طيب ليش ما حكيت هذا الشي من الاول، فراس قضى اخر ايامه يحاول ينفذ كلشي طلبته منه"

لم يجيب الشيخ فاجب المحامي نفسه "ليش؟ , لان فراس كوردي تكدر تنكر هذا الشي؟"

اجاب الشيخ خالد " عاداتنا وتقاليدنا تختلف!"

"تختلف! ، شيخ انت رشحت نفسك بانتخابات مجلس المحافظة عن قائمة الوطنية ، صح ؟"

" لا تدخل السياسية بموضوعنا "

" هذا شيء أساسي بالقضية سيادة القاضي"

" شيخ خالد ارجوك جاوب على السؤال " قال القاضي

" نعم أنا مرشح بقائمة الوطنية " " وطنية نينوى سيدي القاضي! , وما هي نينوى بدون الأكراد كشريك أساسي في الحياة على هذه المحافظة!"

" بدون تسقيط سياسي! " " ماكو اي تسقيط سياسي شيخنا! , سؤالي للناس، كيف يكون الشخص وطنيا وهو يرفض جزء أساسي من مكونات المجتمع بأن يكون جزءا من عائلته؟, شكرا شيخ خالد تكدر تتفضل!"

"سيدي القاضي في النهاية أحب ان استدعي الشيخ مروان لمنصة الشهود، ليكون الشاهد الأخير في القضيه"

القاعه مازالت في حالة التعجب، والصحافة تكتب ماذا يريد المحامي؟ .

بعد نطق القسم، جلس في منصة الشهود الشيخ مروان، أمام جامع السلام.

" شكرا شيخ لحضورك اليوم" " عفوا ابني "

"شيخنا بعد رفض الاهل هل هناك فتوى شرعية تمنح الحق لشخصان الزواج بدون علم اهلهم؟"

" اذا كان رفض الاهل على أساس غير شرعي فيحق لهم ذالك، على أن يكون الوالي أو السلطان او الشخص المسؤول في الدولة وكيل الفتاة وان كانو في دولة غير إسلامية يمكن لأي مسلم بأن يكون الوكيل، ولكن هذا الشيء غير مستحب لما يمكن أن يؤدي!"

"شيخنا قلت إنه يجوز اذا كان رفض الاهل غير شرعي، ما هي الأسباب الشرعية التي يمكن على أساسها رفض الخاطب؟"

"إذا كان غير متمكن من الدين يمكن رفضه حينها!"

" هل يجوز رفضه على أساس قومي أو طائفي؟"

"لا هذا شي لا يجوز!"

"شيخنا هل كنت تعرف فراس شخصيا؟"

"نعم، رحمة الله عليه وإن كان فعل ما قد فعل!"

"كيف كنت تعرفه؟"

"ما فعله فراس كان فاجعة للكل ولا احد يتوقعه، فقد كان عكس الكثير من شباب هذه آلامه ملتزم دينيا، شاب ذو اخلاق كريمه واضب على الصلاة في وقتها وكنت أراه دائما في المسجد"

" شيخ انت شفت القصه، هل كان رفض الاهل في حالته شرعي "

"لا اقول غير حسبي الله ونعم الوكيل"

" هل كان يحق لهما الزواج بدون موافقة الاهل؟"

" كان يستطيع ولكن هذا الشيء غير مستحب وانا اؤمن بانه كان يعرف ذالك!"

"شكرا شيخنا تكدر تتفضل" .

اخذ المحامي لحظه من الصمت وهو ينظر إلى للحظور ثم استدار الى القاضي

"سيدي وان كان لايوجد قانون فعلي لتجريم الطائفية في العراق كي يحاسب السيدان عليه، فأنا أطالب بأن يحاسبوا حسب المادة 411 من قانون العقوبات العراقي المعدل الذي ينص بمعاقبة كل من قام بقتل شخص خطأ أو بغير عمد بأن كان في ذالك نتيجة لأهمال أو رعونه أو عدم انتباه أو عدم مراعاة القوانين والأنظمة والأوامر بالحبس والغرامة أو إحداهما "

" سيدي القاضي الا يعتبر ما حدث إهمال والا تعتبر شرائع الدين الاسلامي الذي يعتمد عليه الدستور العراقي قوانين تم اهمالها، الم تؤدي نتائج ما فعلوه الى هذا، انا اليوم أناشد روح القانون بأن تأخذ حق الروح التي ذهبت لما فعلوه وشكرا سيدي القاضي!"

كلمات المحامي النابعه من قلبه دخلت في قلب القاضي، الذي أمر باستراحة لمدة نصف ساعة ثم سينطق القرار في القضيه.

خرج المحامي لاستنشاق الهواء وتهاتفت عليه الأسئلة من الصحافه، منها ما كانت تتهمه بأنه مدعوم من البعض لتسقيط رموز الموصل، ومنها ما كانت مهتمه بإجراءات المحكمة الأولى من نوعها و أحد الأسئلة كانت عن توقع المحامي لقرار المحكمة فأجاب بعد تفكير عميق "لا اعلم ماذا سيكون القرار، ولكن انا أعلم بأن الحقوق يجب أن ترد لأصحابها في يوم ما، فراس لم يأخذ حقه عندما كان حي، فأتمنا أن يأخذ حقه اليوم وهو ميت!"

بعد نصف ساعة.....

"حكمت المحكمة في القضيه رقم 27 على الدكتور روان سليمان والشيخ خالد محمد في تهمة القتل بغير العمد بغرامة مالية وقدرها 500 الف دينار عراقي لكل منهما وتذهب لخزينة الدولة حسب الماده 411 الفقره واحد من قانون العقوبات العراقي المعدل"

استقبل وليد قرار المحكمة بدموع ممزوجة من الحزن والفرح، وليد الذي لم يرى في المحكمه سوى روح صديقه المبتسمه لما قدمه.

المال قد لا يعيد الروح التي ذهبت، ولكن العراق اليوم اعترف بمظلومية عاشق قتله المجتمع.

وبدلا من أن يقال غدا، لعنه الله انتحر، سيقال لعنهم الله قتلوه!